

الدَّارُ الْآخِرَةُ

(١٩)

عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَى

خروج يأجوج ومأجوج - الخسوفات الثلاثة
الدُّخَانُ - طلوع الشمس من مغربها
خروج الدَّابَّةِ - خروج نار تسوق الناس إلى محشرهم

للشيخ / ندا أبو أحمد



(تابع علامات الساعة الكبرى)

تهنيد

أن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.....

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ أَنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

العلامة الثالثة: خروج يأجوج ومأجوج

من المعلوم أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى، والتي أخبر عنها النبي ﷺ في الحديث الذي صدر به دائماً عند الكلام عن العلامات الكبرى

والحديث أخرجه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال:

"اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن

تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات - وذكر من جملة العشر - يأجوج ومأجوج"

وقد بين الله ﷻ أن خروج يأجوج ومأجوج علامة على قيام الساعة، فقال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ٩٦ ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ

الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا...﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧]

أصل كلمة يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج ، اسمان أعجميان عند الأكثر، منعاً من الصرف للعلمية والعجمة.

وقيل: هما اسمان عربيان، واختلف في اشتقاقهما.

وقيل: من أجيح النار: وهو التهابها، وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم.

وقيل: من الآجة: وهي الاختلاط أو شدة الحر.

وقيل: من الآج: وهو سرعة العدو.

وقيل: من الأجاج: وهو الماء الشديد الملوحة.

وقيل: من ماج: بمعنى اضطراب، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾

[الكهف: ٩٩]

وذلك عند خروجهم من السدّ وزحفهم.

(انظر فتح الباري: ١٣/١١٤)، (المصباح المنير)

وجميع ما ذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم.

أصل يأجوج ومأجوج

يأجوج ومأجوج اسمان لقبيلتين أو لأمتين عظيمتين من ذرية آدم ، من ولد يافث بن نوح^(١)
(فتح الباري: ١٣/١٠٦)، (النهاية في الفتن والملاحم: ١/١٥٣)

والذي يدل على أنهم من ذرية آدم ﷺ

ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال:

"يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، قالوا: وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا، فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف".

تنبيه:

حكى الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم" عن بعض الناس (كعب):

"أن يأجوج ومأجوج قد خلقوا من مني خرج من آدم، فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك، ومعنى هذا أنهم مخلوقون من آدم فقط وليسوا من حواء، وقد رد ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (٣/١٠٤) هذا القول وأنكره قائلاً: "وهذا قول غريب جداً، ثم لا دليل عليه من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد ها هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب؛ لما عندهم من الأحاديث المفتعلة.

(وانظر كذلك فتح الباري: ٦/٣٨٦)

وعلى التسليم بصحة هذا الكلام، فأين كانوا حين الطوفان؟!

فالراجح: أنهم من نسل آدم وحواء، وأنهم أولاد يافث بن نوح

(١) ومن المعلوم أن يافث من ولد نوح. أخرجه الإمام أحمد والحاكم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ولد نوح ثلاثة ، سام، وحام، ويافث"، وفي حديث آخر أخرجه الطبراني عن سمرة بن جندب وعمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: "ولد نوح ثلاثة، سام أبو العرب، وحام أبو الحبشة، ويافث أبو الروم". وتحقيقات العلماء تقول: إنه يدخل في ذرية يافث الترك والجنس الآري والجنس الصيني ، فعلى هذا سكان الصين والهند وشعوب شرق آسيا أكثرهم من ولد يافث. والله أعلم. (النهاية: ١/١٠٢)

وتطلق كلمة الترك على القاطنين وراء جبال تركستان، فلا ترتبط بسكان آسيا الصغرى فقط، فأهل الصين واليابان ومنغوليا ومن شابههم من أهل المناطق، وإن لم يكونوا من الترك، فهم أولاد عمهم.

الصفات الخلقية ليأجوج ومأجوج

أما صفاتهم التي جاءت بها الأحاديث، فهي أنهم يُشبهون أبناء جنسهم من الترك المغول: صغار العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، على أشكال الترك وألوانهم "

(النهاية في الفتن والملاحم: ١/١٥٣)

والدليل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والطبراني عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته قالت: "خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب، فقال: إنكم تقولون: لا عدو لكم، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يخرج يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشفاف^(١)، من كل حذب ينسلون^(٢)، كأن وجوههم المجان المطرقة^(٣)"

وهم قوم أقوياء لا طاقة لأحد بقتالهم

كما جاء في "صحيح مسلم" أن النبي ﷺ قال: "إذا أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور..." الحديث تنبيه:

ورد في بعض الأخبار أن أجساد يأجوج ومأجوج طويلة كشجرة الأرز - بفتح الهمزة وسكون الراء - أو أنهم يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى، أو أنهم أربعة أذرع في أربعة أذرع، أو أنهم شبراً شبراً، وشبرين شبرين، وأطولهم ثلاثة أشبار، وكل هذه الأخبار ذكرها الحاكم، وابن أبي حاتم، وهي لا تصح.

قال ابن كثير رحمه الله في "النهاية في الفتن والملاحم":

"ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق، ومنهم القصير، ومنهم من له أذنان، يتغنى بإحداهما، ويتوطأ بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه. اهـ وما ورد من الصحيح فيه غنى عن الضعيف والموضوع

(١) صهب الشفاف: يعني لون شعرهم أسود فيه حمرة.

(٢) من كل حذب ينسلون: أي من كل مكان مرتفع يخرجون سراعاً، وينتشرون في الأرض.

(٣) كأن وجوههم المجان المطرقة: لاستدارتها وكثرة اللحم فيها، والمجن هو الترس، تشبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها، وشبهه بالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

مكان وجودهم

ذكرت الآيات في سورة الكهف أنهم خلف السد العظيم الغليظ، الذي بناه ذو القرنين قديماً من حديد ونحاس بين جبلين عظيمين، للحد من شرورهم وإفسادهم في الأرض، وهذا السد يمنعهم من الخروج واجتياح الأرض بصورة جماعية جرّارة، إلى أن يأذن الله، فإذا أذن الله وتم ذلك، كان علامة كبرى من علامات الساعة، ومكان السد غير معروف بالتحديد؛ إذ لم يحدده الكتاب ولا السنة؛ لأن المراد من ذلك الاعتبار، غير أنه بعض العلماء اجتهدوا في معرفة مكانه.

يقول ابن عباس رضي الله عنه: "هو في منقطع بلاد الترك، مما يلي أرمينيا وأذربيجان".

(رواه الطبري، والقرطبي، وذكره الألويسي، والبيضاوي)

وذكر العلامة جمال الدين القاسمي في تفسيره المسمى "محاسن التأويل" أن بعض المحققين قال: كان يوجد وراء جبل من جبال القوقاز، المعروف عند العرب بجبل قاف، في إقليم داغستان، قبيلتان، تسمى إحداهما (آقوق)، والثانية (ماقوق)، فعربّهما العرب باسم "يأجوج ومأجوج"، وهما معروفتان عند كثير من الأمم، وورد ذكرهما في كتب أهل الكتاب، ومنهما تناسل كثير من أمم الشمال والشرق في روسيا وآسيا.

وقال أبو الأعلى المودودي في تفسير سورة الكهف:

"الأقرب إلى الصواب أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين، المعروفة بأسماء التتار والمغول والهنون والسيبيث... وغير ذلك، وكانت تُغير على الدول المتحضرة من قديم الزمان.

وصفة القول: أن الشواهد التاريخية تدل على أن مسكنهم في أقصى الشرق، وعلى أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية، أما الجزم بالمكان، أو من هم الذين انصبت عليهم النصوص القرآنية فأمر غيبي لا يعلمه إلا الله، والأسلم التسليم والتفويض.

(المسيح المنتظر ونهاية العالم: ص ٢٣٠)

كثرة عددهم

وعدهم كثير، ولا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ومما يدل على كثرة عددهم ما أخرجه الطبراني في "الكبير والأوسط" من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً"

وهذا الحديث ضعفه أهل العلم، حيث قال ابن كثير رحمته الله كما في "النهاية" (١٠٢/١):
 "الله أعلم بصحته... وهذا حديث غريب، وقد حكم عليه الألباني بالنكارة كما في "السلسلة الضعيفة" (٩/١٥٩)، وإن كان الحديث منكر لا يصح إلا أن هناك أدلة أخرى تدل على كثرة عددهم منها:-
 ما أخرجه الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه وفيه:

"إذ أوحى الله ﷻ إلى عيسى ابن مريم - عليهما السلام - إني قد أخرجت عبادا لي، لا يُدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية^(١)، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء". ثم قال النبي أيضاً في ذات الحديث بعدما يقتلهم الله تعالى:
 "فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم وننتهم..." الحديث

ومما يدل أيضاً على كثرة عددهم أن المسلمين سيوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين
 فقد أخرج الترمذي من حديث النواس أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"سيوقد المسلمون من قسي^(٢) يأجوج ونشابهم^(٣) وأسلحتهم وأترستهم^(٤) سبع سنين"

(السلسلة الصحيحة: ٥٧٩/٤، ورقمه: ١٩٤٠)، (صحيح الجامع: ٣٦٧٣)

وهذا الحديث يدل على أن البشرية ستعود مرة أخرى إلى القتال على الخيول واستعمال الرماح والقسي... ونحو ذلك. والله أعلم

(١) بحيرة طبرية: تسمى أحياناً بحر الجليل، أو بحيرة الجليل، وهي بحيرة صغيرة تقع في شمالي فلسطين يصب فيها نهر الأردن، ويخرج منها مستمراً في جريانه وسط نحر الأردن، طول بحيرة طبرية ٢٣ كم، وأوسع عرض فيها ١٣ كم، ولا يزيد عمقها على ٤٤ م وتنخفض عن مستوى سطح البحر بـ ٢١٠ م.

(٢) القسي: جمع قوسي، والمراد هنا: القوس الذي يستخدم في رمي السهام.

(٣) النشاب: هي السهام.

(٤) أترستهم: أي تروسهم

فساد يأجوج ومأجوج في الأرض وقصة بناء السد

ذكر الله ﷻ قصة الملك الصالح ذي القرنين، حيث قال عنه: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩]، أي أنه سلك طريقاً بين المشرق والمغرب، يوصله جهة الشمال حيث الجبال الشاهقة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ ، وهما جبلان بينهما ثغرة، ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]

وجد عندهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً؛ وذلك لاستعجام كلامهم وبُعدهم عن الناس، واشتكوا إليه الضرر الذي يلحق بهم من يأجوج ومأجوج؛ حيث يخرجون من بين الجبلين على بلاد الترك، فيعيثون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل، ثم طلبوا من ذي القرنين أن يقيم بينهم سداً يمنع فسادهم؛ فاستجاب لطلبهم، وطلب منهم أن يساعده في بناء هذا السد، وطلب منهم أن يأتوه بقطع من الحديد ففعلوا، فصَف هذه القطع بين جانبي الجبلين ثم قال لهم: ﴿انفُخُوا﴾ أي: انفخوا بالمنافخ عليه، حتى إذا كان هذا الحديد كالنار لشدة الإحماء، قال: أعطوني أصب عليه النحاس المذاب، فالتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلباً، لا يستطيع المفسدون من يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويتسوروه لِعُلُوِّه، ولا يستطيعون أن ينقبوه ويخرقوه من أسفله وذلك لصلابته وشدته، وبهذا السد المنيع حبس يأجوج ومأجوج؛ وأمن الناس من شرهم وفسادهم، وهم الآن محبوسون حتى يأذن الله بخروجهم آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام، وقصة يأجوج ومأجوج ذكرها رب العالمين في كتابه الكريم في سورة الكهف؛ فقال تعالى عن ذي

القرنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٣-٩٩]

تنبيهات وفوائد:

١- ذو القرنين هو ملك مؤمن صالح، ولم يكن نبياً على الراجح من أقوال أهل العلم، وسمي بذو القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشيطان ويغرب، وهو غير الإسكندر المقدوني، فإن الإسكندر كان كافراً، وزمنه متأخر عن ذي القرنين، وبينهما أكثر من ألفي عام. والله أعلم.

(نهاية العالم للعريفي: ص ٣١٢)

٢- رأى أحد الصحابة هذا السد... فقد ذكر البخاري معلقاً بصيغة الجزم:

"قال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد مثل البرد المحبر" (١) فقال ﷺ - مصداقاً له صحة الصفة -: رأيتَه"

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في "فتح الباري" (١٠/١٢٩):

الحديث وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ: **"يا رسول الله ! قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، فقال ﷺ: كيف رأيتَه؟ قال:**

مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء، فقال ﷺ مقراً له: قد رأيتَه"

٣- قولهم: ﴿إِنَّ يَاجُوجَ وَمَأُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يدخل تحت الغيبة المحرمة، بل هذا من الغيبة

المباحة، قال الإمام النووي رحمه الله: أعلم أن الغيبة تباح لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب منها:-

أ- التظلم، وهو كقول هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: **"إن أبا سفيان رجل شحيح"** (أخرجه البخاري ومسلم)

ب- الاستعانة على تغيير المنكر

ت- الاستفتاء

ث- تحذير المسلمين من الشر أو نصيحتهم، كقول النبي لفاطمة بنت قيس: **"أما معاوية**

فصلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه" يعني: ضرباً للنساء" (البخاري ومسلم)

ج- أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته: وقد روي عن الحسن رحمه الله أنه قال:

"ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى، والفاسق المعلن، والإمام الجائر"

ح- التعريف، كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) **"أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾** [عبس: ١-٢]

أو كقول النبي ﷺ: "أصدق ذو اليمين".

(١) البرد المحبر: أي مثل الثياب المخططة، فيها خط أبيض وخط أسود أو غير ذلك من الألوان.

٤ - **الفائدة الرابعة من قصة يأجوج ومأجوج:** أن فيها دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، وقد اتخذ بعض الخلفاء السجون، كما عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه العقوبة في التشوز والهجاء، والسجن في الحقيقة نوع من التعزير في الجرائم التي لم ينزل تحديد شرعي بعقوبتها.

كيفية خروجهم

قام ذو القرنين ببناء هذا السد، ومنع يأجوج ومأجوج من الوصول إلى الناس، إلا أن يأجوج ومأجوج منذ اللحظة الأولى من بناء السد إلى يومنا هذا، لا يألون جهداً في خرقه ومحاولة هدمه، وقد أفلحوا في إحداث خرق فيه، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ

فقد أخرج البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها:

"أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه: الإبهام والتي تليها".
وفي رواية عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد بيده تسعين"

وذلك بأن جعل طرف سبابته اليمنى في أصل الإبهام، وضمها محكماً، بحيث انطوت عقدة إبهامها حتى صارت كالحية المطرقة.

لكن في كل مرة يحدثون فيها خرقاً، يعيده الله في اليوم التالي كما كان، حتى إذا جاء الموعد المحدد لخروجهم، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً إن شاء الله، فيجدونه من الغد كما هو ويواصلون الهدم حتى يندك السد، ويخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، فماجوا في الناس،

وعاثوا في الأرض فساداً، **قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾** ، أي جعل الله هذا السد مستویاً بالأرض وعاد متهدماً كأن لم يكن الأمس، **﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾** [الكهف: ٩٨]، أي كان وعده

(أيسر التفاسير: ٢/٢٠٦)

تعالى بخراب السد وقيام الساعة كائناً لا محالة.

ويصف النبي ﷺ هذا المشهد بدقة

ففي "السنن" للترمذي وابن ماجه، و"صحيح ابن حبان"، و"مستدرک الحاكم"، و"مسند أحمد" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن يأجوج ومأجوج يحفرون السدَّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعيدُهُ الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مُدَّتَهُمْ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله^(١)، واستثنوا، فيعودون إليه، وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصنُ الناسُ منهم في حصونهم" (صحيح الجامع: ٢٢٧٦)

فائدة:

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]،

وبين قول النبي ﷺ الثابت في "صحيح البخاري":

"فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلف بإصبعيه الإبهام والتي تليها"

ففي الآية أنهم لا يستطيعون أن يحدثوا في السد نقباً، وفي الحديث أنهم فعلوا ذلك، فكيف الجمع؟

يجيب عن هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (١٠٢/٢) فيقول:

والجواب: إما على قول من ذهب إلى هذا: إشارة إلى فتح أبواب الشرِّ والفتن، وأن هذا استعارة محضة، وضرب مثل، فلا إشكال

- وأما على قول من جعل ذلك إخباراً عن أمر محسوس، كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال؛ لأن قوله

تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي في ذلك الزمان؛ لأن هذه الصيغة خبر ماضٍ

فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن الله لهم في ذلك قدراً وتسليطهم عليه بالتدرج قليلاً قليلاً؛ حتى يتم

الأجل وينقضي الأمر المقدور؛ فيخرجون، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]

- أو قد يقال أنهم أحدثوا في السد نقباً ولكنه ليس نافذاً جمع بين الآية والحديث. والله أعلم. اهـ بتصرف واختصار

(١) يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري" (١٣/١٩٠) معلقاً على قولهم: "فسنحفره غداً إن شاء الله"

وهذا يدل على أن فيهم من يعرف الله ويقرُّ بقدرته ومشيئته، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان الذي عليهم من غير معرفة معناها،

فيحصل المقصود ببركتها" (فتح الباري: ١٣/١٩٠)

كيفية هلاكهم

عند خروج يأجوج ومأجوج من السد فأنهم يسعون في الأرض فساداً، فيشربون المياه، ويأتون على الأخضر واليابس، وينحاز المسلمون إلى مدائنهم وحصونهم، وينحاز عيسى عليه السلام ومن معه بأمر الله إلى جبل الطور، ولما ظن يأجوج ومأجوج أنهم أتوا على أهل الأرض وقضوا عليهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء بغرض القضاء على مَنْ فيها، فيبتليهم الله تعالى فيرد عليهم سهامهم مخضوبة بالدماء، فيقولون: قتلنا مَنْ في الأرض، وقتلنا مَنْ في السماء، وهنا يأذن الله بهلاكهم، فيسلط عليهم النغف (وهو

دود صغير) فيقضي عليهم دفعة واحدة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

"تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه، حتى يتركوه يبساً، حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ها هنا ماء مرة، حتى إذا لم يبقَ من الناس أحد إلا في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء، قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مخضبة دماً، للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله دوداً في أعناقهم، كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى، لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: إلا رجل يشري نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو؟ قال: فيتجرد منهم رجل محتسباً لنفسه، قد وطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى، بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين، ألا أبشروا، فإن الله تعالى قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط".

(السلسلة الصحيحة: ٣١٣/٤ - ورقمه: ١٧٣٥)

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "... فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهينة الدم الذي اجفظ^(١)، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء! فيبعث الله عليهم نغفاً^(٢) في أقفائهم^(٣)، فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن^(٤)، وتشكر شُكراً من لحومهم ودمائهم"

(السلسلة الصحيحة: ١٧٧٥)، (صحيح الجامع: ٢٢٧٦)

ويهلكون بدعوة عيسى عليه السلام ومن معه

ففي "مسند الإمام أحمد" وفي "مستدرك الحاكم" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

"لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام - فتذكروا الساعة، إلى أن قال: "فردوا الحديث إلى عيسى فذكر قتل الدجال، ثم قال: ثم يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، لا يمرُّون بماء إلا شربوه، ولا بشيء إلا أفسدوه، فيجأرون إليّ فأدعو الله فيميتهم فتجوى الأرض من ريحهم، فيجأرون إليّ فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيقذف بأجسامهم في البحر"

وفي رواية عند الترمذي: "فيرغب عيسى إلى الله وأصحابه، قال: فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم بالمهبل^(٥)، ويستوقد المسلمون من قسيهم^(٦) ونشابهم وجعابهم^(٧) سبع سنين"

(١) اجفظ: أي امتلأ: أي: ترجع ممتلئة دماً.

(٢) نغفاً: دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٣) أقفائهم: أي مؤخر رقابهم.

(٤) أي: تسمن وتمتلئ شحماً.

(٥) المهبل: الحفرة العميقة.

(٦) قسيهم: جمع "قوس"، والمراد به هنا: القوس الذي يستخدم في رمي السهام.

(٧) جعبة السهام: هي الشيء الذي يوضع فيه السهام.

وفي "صحيح مسلم" عن النواس بن سمعان رضي الله عنه في حديثه الطويل، قال: قال رسول الله ﷺ:
 "ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه (أي من الدجال)، فيمسح عن
 وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى، إني قد
 أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم^(١)، فحرّز عبادي إلى الطور^(٢)، ويبعث الله يأجوج
 ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون^(٣)، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية^(٤)، فيشربون ما
 فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء^(٥)، ويحصر^(٦) نبي الله عيسى
 وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي
 الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف^(٧) في رقابهم، فيصبحون فرسى^(٨) كموت
 نفس واحدة^(٩) ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض
 موضع شبر إلا ملأه زهمهم^(١٠) ونتنتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل
 طيراً كأعناق البخت^(١١)، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، لا يكن منه
 بيت مدر ولا وبر^(١٢)، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة^(١٣)"

(١) لا يدان لأحد بقتالهم: أي لا قدرة ولا طاقة لأحد على قتالهم.

(٢) فحرّز عبادي إلى الطور: أي اصعد بهم إلى الجبل، كي يكونوا في حرز ومأمن.

(٣) من كل حذب ينسلون: أي يسرعون ويهرعون من مكان مرتفع.

(٤) بحيرة طبرية: بحيرة في فلسطين ماؤها عذب.

(٥) وفي رواية عند مسلم أنهم يقولون: "لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - وهو جبل بيت المقدس - فيقولون: لقد

قتلنا من في الأرض، فهلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوية دماً". جبل الخمر: سمي بذلك:
 لكثرة شجره، فالخمر هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه، لما فيه من أماكن استتار، إذ الخمر معناها: الستر والتغطية، ونشابهم: يعني سهامهم.

(٦) يحصر: يكون محاصراً مع أصحابه.

(٧) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحداً: "نغفة".

(٨) فرسى: هلكى أو قتل، مفرداً: "فريس" (كقتيل)، يقال: "فريس الذئب الشاة" أي: قتلها.

(٩) كموت نفس واحدة: أي يموتون لحظة واحدة.

(١٠) زهمهم: أي دسمهم، والزهمة: الريح المنتنة

(١١) كأعناق البخت: صنف من الإبل طوال الأعناق، عظام الأجسام

(١٢) مدر ولا وبر: طين قد استحجر، والمراد: البيوت دون الخيام، والوبر: هي خيام الشعر.

(١٣) الزلفة: روي بالفاء والقاف، وكلهما صحيحة، بمعنى واحد، أي كالمرأة في صفاتها ونظافتها وجمعها: "زُلف"

وبعد هلاك يأجوج ومأجوج ينتشر الأمن والأمان؛ إذ لا قتال ولا حروب بعد هلاكهم ودليل ذلك ما أخرجه النسائي والطبراني في "الكبير" عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه قال:

"بينما أنا جالس عند النبي ﷺ: إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إن الخيل قد سئبت، ووضع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها، فقال ﷺ: كذبوا؛ الآن جاء القتال، وإنه لا يزال من أمّتي أمة يقاتلون في سبيل الله، لا يضرهم من خالفهم، يزيغ الله قلوب قوم يرزقهم منهم، يقاتلون حتى تقوم الساعة، ولا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج"

(السلسلة الصحيحة: ١٩٣٥)

وعندما تضع الحرب أوزارها ولا يبقى قتال ولا حروب، حيث يتم القضاء على المشركين والكافرين فلا يبقى إلا المؤمنون، فتصفو النفوس، وتخرج الأرض بركاتها، وينعم المسلمون؛ إلا أن يشاء الله فيبعث الله ريحاً فتقبض روح كل مؤمن، وتقوم الساعة على شرار الخلق.

ففي حديث طويل عند مسلم وفيه: "فيرغب نبي الله عيسى^(١) وأصحابه إلى الله، فيرسل طيراً كأعناق البخت^(٢)، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر^(٣)، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة^(٤)، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة^(٥) من الرمانة، ويستظلون بقحفها^(٦)، ويبارك في الرّسل^(٧)، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس^(٨)، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة^(٩) من الغنم لتكفي الفخذ^(١٠) من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة؛ فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم؛ ويبقى شرار الناس يتهارجون^(١١) فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة".

(١) يرغب نبي الله عيسى: أي يدعو الله تعالى.

(٢) البخت: الإبل العظيمة ذات السنامين.

(٣) بيت مدر ولا وبر: أي يرسل الله مطراً يخترق البيوت المبنية من الطين الصلب، والمبنية من الصوف والشعر.

(٤) الزلفة: أي كالمرآة شبهها بها في صفائها ونظافتها.

(٥) العصابة: الجماعة

(٦) قحف الرمانة: أي: بقعر قشرها، تشبيهاً بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ.

(٧) الرّسل: اللبن

(٨) الفئام من الناس: أي الجماعة الكثيرة من الناس.

(٩) اللقحة: هي القرية العهد بالولادة.

(١٠) الفخذ: أي أن لبن الغنم يكفي الجماعة من الأقارب، والفخذ من الناس: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة.

(١١) يتهارجون: أي يجامع الرجل النساء بحضور الناس كما يفعل الحمير، ولا يبالون بذلك.

العلامة الرابعة والخامسة والسادسة: الخسوفات الثلاثة

بيّن النبي ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتى تقع ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، - فذكر منها - وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب".

ومعنى الخسف: هو انشقاق الأرض وابتلاعها ما فوقها، فيقال: خُسِفَ المكان إذا ذهب في الأرض وغاب فيها، كما حدث بقارون، قال الله تعالى عنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]

وهذا الخسف سيكون في أمة النبي ﷺ
فقد أخرج الحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:
"في أمتي خسفٌ ومسحٌ وقذفٌ"

والخسف عقوبة تقع على بعض الناس بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب، كشرب الخمر، والاستماع إلى الأغاني، وأكل الربا، والوقوع في الزنا... وغير ذلك من المعاصي
فقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال:
"سيكون في آخر الزمان خسفٌ وقذفٌ ومسحٌ، إذا ظهرت المعازف والقينات^(١)، واستُحِلَّتِ الخمر"

(صحيح الجامع: ٣٥٥٩)

(١) القينات: جمع "قينة"، وهي المرأة المغنية.

فالحسب يكون بسبب الذنوب والمعاصي كما أخبر بذلك النبي ﷺ.
فقد أخرج الحاكم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"بييت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحون قد مُسِخُوا خنازير،
وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا: خسف الليلة ببني فلان،
خسف الليلة بدار بني فلان، وأرسلت عليهم حصباء حجارة، وأرسلت عليهم الريح العقيم،
فتنسفهم، كما نسفت من كان قبلهم بشربهم الخمر، وأكلهم الربا، ولبسهم الحرير،
واتخاذهم القينات، وقطيعتهم الرحم - قال أبو أمامة: وذكر خصلة أخرى فنسيتها"

الخيلاء سبب للخسف

وأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل^(١) في الأرض إلى يوم القيامة".

وبين النبي ﷺ أنه سيكون خسف في أهل البدع المخالفين في العقيدة، مثل
الزنادقة والقدرية. فقد أخرج الإمام أحمد عن نافع رضي الله عنه قال:

"بينما نحن عند عبد الله بن عمر قعوداً، إذ جاء رجلٌ، فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام -
لرجل من أهل الشام- فقال عبد الله بن عمر: بلغني أنه أحدث حدثاً^(٢)، فإن كان كذلك،
فلا تقرأ عليه مني السلام، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون في أمّتي مسخ
وقذف، وهو في الزندقية^(٣) والقدرية^(٤)".

كما بين النبي ﷺ أنه سيقع خسف بمدينة البصرة

فقد أخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"يا أنس، أن الناس يمضون أمصاراً، فإن مصراً يقال له: البصرة، فإن أنت مررت بها أو
دخلتها، فإياك وسباخها^(٥) وكلاها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها؛ عليك بضواحيها، فإنه
يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير".

(مشكاة المصابيح: ٥٤٣٣)

(١) التجلجل: حركة مع صوت.

(٢) أحدث حدثاً: يعني ابتدع بدعة.

(٣) الزندقية: هم أهل النفاق والإلحاد.

(٤) القدرية: المكذبون بتقدير الله لمقادير وأفعال العباد.

(٥) السبخة: الأرض المالحة.

تنبيهات وفوائد:

١ - الخسوفات السابق ذكرها، والتي ستقع في هذه الأمة: هي علامة من علامات الساعة الصغرى؛ ستقع عقوبة على بعض الذنوب، وتكون في أماكن دون أخرى - كما مر بنا- لكن إذا استحكمت هذه الذنوب وانتشرت وعمّت وطمّت؛ كانت الخسوفات الثلاثة والتي تسبق الساعة ويدل على ذلك الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الأوسط" من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، قلت: يا رسول الله، أيُخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال: إذا كثر أهلها الخبث"

٢ - الخسوفات التي تقع في هذه الأمة بسبب الذنوب تكون: متفرقة، ومتباعدة، وتقتصر على أماكن محددة، فهي تتفاوت في قوتها وحجمها وأماكنها. لكن الخسوفات الثلاثة والتي أخبر عنها النبي ﷺ، وبين أنه لن تقوم الساعة حتى تقع؛ ستكون عامة ينتشر خبرها وذكرها، وتكون في أماكن واسعة من الأرض. يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:

"وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن محتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً"

٣ - جاء في بعض الروايات تحديد مكان وسبب أحد الخسوفات الثلاثة التي ستقع في آخر الزمان، فقد أخرج ابن حبان عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

"يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبائعونه بين الركن والمقام، فيبعثون إليه جيشاً من أهل الشام، فإذا كانوا بالبيداء^(١) خُسف بهم، فإذا بلغ الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصابة أهل العراق فيبائعونه"

(١) البيداء: الصحراء، وهذا المكان يكون بين مكة والمدينة.

العلامة السابعة: الدُّخَانُ

ومن علامات الساعة الكبرى ظهور الدُّخَان الذي يملأ الأرض كلها،

ودليل هذه العلامة: -

١ - قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا

اَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿﴾ [الدُّخَان: ١٠-١٣]

وهذه الآية هي التي خبأها النبي ﷺ لابن الصياد، ليعلم هل هو الدَّجَال أم لا؟

ففي "الصحيحين" أن النبي ﷺ قال لابن صياد:

"إني خبأت لك خبئاً، قال: (ابن الصياد) هو الدُّخ، فقال النبي ﷺ: اخسأ، فلن تعدو قدرك،

وخبأ له رسول الله ﷺ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

[الدُّخَان: ١٠-١١]

وقد جاء في "تفسير القرطبي"، وابن كثير - رحمهما الله - لهذه الآية:

المعنى: أي انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يغشى الناس ويعمهم، وعند ذلك يُقال لهم: هذا عذاب أليم، توبيخاً لهم، أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

٢ - الدليل الثاني: ما أخرجه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال:

"اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات... فذكر الدُّخَان"

٣ - وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدُّخَان، أو الدَّجَال، أو الدَّابَّة، أو خاصة أحدكم^(١)، أو أمر العامة^(٢)"

(١) خاصة أحدكم: المراد به الموت.

(٢) أمر العامة: أي يوم القيامة.

تنبيه مهم:

ذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وجماعة من السلف كمجاهد، وأبو العالية، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وعطية العوفي إلى:

أن هذه العلامة (الدُّخَان) ظهرت وانقضت، ورجَّح هذا القول ابن جرير الطبري، ويقولون: إن هذه العلامة ظهرت عندما دعا النبي ﷺ على قريش حين لم يستجيبوا له؛ فأصابهم من الشدة والجوع ما أصابهم، حتى أنهم كانوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا مثل الدُّخَان من شدة البلاء.

واستدل هذا الفريق بالحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" عن مسروق بن الأجدع قال: "كنا عند عبد الله جلوساً، وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن قاصاً يقص عند أبواب كندة، ويزعم أن آية الدُّخَان تجئ، فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهينة الزُّكام، فقال عبد الله، وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس، اتقوا الله، من علم منكم شيئاً، فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم، فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكَفِّينَ﴾ [ص: ٨٦]"، إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إِدْبَاراً، فقال: "اللهم سبع سبع يوسف"، قال: فأخذتهم سنة^(١) حصّت^(٢) كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهينة الدُّخَان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد، إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادعُ الله لهم، قال الله ﻋَﻠَﻴْهِمْ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ١٠ ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدُّخَان: ١٠-١١]، إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدُّخَان: ١٥]، قال: أفيكشف عذاب الآخرة: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدُّخَان: ١٦]، فالبطشة الكبرى يوم بدر، وقد مضت آية الدُّخَان، والبطشة، واللزام^(٣)، وآية الروم^(٤).

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "خمس قد مضين: اللِّزَام، والروم، والبطشة، والقمر، والدُّخَان".

(١) سنة: يعني القحط والجذب.

(٢) حصّت: أي استأصلت.

(٣) آية اللِّزَام يشير بها إلى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، أي أن العذاب ملازم لا يتأخر عنهم بحال من الأحوال.

(٤) وآية الروم يريد بها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ١ ﴿فِي أَثْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَوَلُّونَ﴾ [الروم: ١-٣]

والراجح: أن هذه العلامة لم تأت بعد، وأنها تكون قرب قيام الساعة، وهذا ما ذهب إليه علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وابن عمر، وحذيفة، وأبو هريرة، والحسن البصري، وزيد بن علي، ورجَّح هذا القول: ابن كثير في "تفسيره"، ويدل على صحة هذا القول ما يلي:-

١ - الأحاديث الصحيحة الواردة في شأن هذه العلامة وقد سبق ذكرها.

٢ - ما أورده ابن كثير في "تفسيره" عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدُّخَان يأخذ المؤمن كالزَّكْمَة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية: الدَّآبَة، والثالثة: الدَّجَال".

ومن المعلوم أن هذه العلامات لم تأت بعد.

(رواه ابن جرير، والطبراني، وقال ابن كثير: سنده جيد، لكن الحافظ ابن حجر قال في "الفتح" (٥٧١/٨): وفي قوله جيد نظر، فإن في السند (فعالاً) وهو لا يخلو من ضعف. اهـ)

٣ - ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي مليكة قال:

"غدوت على ابن عباس ؓ ذات يوم، فقال لي: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب؛ فخشيت أن يكون الدُّخَان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت".

(قال ابن كثير: إسناده صحيح إلى ابن عباس)

والشاهد: هو خوف ابن عباس من الدُّخَان، وهذا يدل على أنه علامة لم تأت بعد.

٤ - ويدل على هذا أيضاً قول عبد الله بن مسعود ؓ نفسه حيث قال:

"هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزَّكْمَة، وأما الكافر فتثقب مسامعه".

(التذكرة: ص ٦٥٥)

فالدُّخَان الأول الذي تكلم عبد الله بن مسعود عنه (وقد مضى)، هو خيال رآته قريش في عينها، وذلك من شدة الجوع والجهد،

وهذا ما يؤكد عبد الله بن مسعود ؓ عندما تكلم عن الدُّخَان، فيقول كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه مسلم: "وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهينة الدُّخَان"

لكن الدُّخَانُ والذي سيأتي في آخر الزمان سيكون واضحاً يراه كل الناس؛ كما قال تعالى:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدُّخَان: ١٠]، أي بيّن واضح يراه كل أحد، وهذا يدل على أنه غير

الدُّخَان الأول الذي تراه قريش خيلاً، أضف إلى هذه قوله تعالى عن الدُّخَان: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾

أي: يغطيهم حقيقة، و(ال) في كلمة الناس في الآية: من صيغ العموم، فتدل على أنه يغشى جميع الناس، لا كما حدث في عهد النبي أنه يغشى مشركي قريش فقط.

يقول الإمام النووي في "شرحه لمسلم" (٢٧/٨) عند قول النبي ﷺ:

"لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات... فذكر الدُّخَان..." وهذا الحديث يؤيد قول من قال: "إن الدُّخَان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزُّكام، وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريباً من قيام الساعة". اهـ

فائدتان:

الأولى: هذا الدُّخَان يأتي من قِبَل المشرق

فقد أخرج الطبراني عن عقبة بن عامر ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

"يطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب، مثل الترس، فلا تزال ترتفع في السماء وتنتشر؛ حتى تملأ السماء، ثم ينادى مناد: أيها الناس، أتى أمر الله فلا تستعجلوه..." الحديث

الثانية: يمكث هذا الدُّخَان أربعين يوماً، وقد ورد ذكر ذلك في أحاديث لا تخلو من مقال

ففي الحديث الذي أخرجه الطبراني بسند فيه مقال عن حذيفة بن اليمان ؓ عن النبي ﷺ قال: "إن من أشراط الساعة: دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث في الأرض أربعين يوماً، فأما المؤمن، فيصيبه منه شبه الزُّكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدُّخَان من فيه ومنخريه وعينييه وأذنيه ودبره".

(وأخرجه ابن جرير كذلك، وقال الحافظ في "الفتح" (٥٧٣/٨): إسناده ضعيف)

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها

ومن المعلوم أن أشراف الساعة متنوعة، منها ما يتعلق بالأرض من خسف وجذب، ومنها ما يتعلق بالناس ككثرة النساء وقلة الرجال، ومنها ما يتعلق بالأخلاق كانتشار الزنا، ومنها ما يتعلق بالسماء والفلك وفيه الدُّخان، وطلوع الشمس.

وطلوع الشمس من المغرب علامة من علامات الساعة الكبرى

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدُّخان، والدَّجَال، والدَّابة، وطلوع الشمس من مغربها"

فطلوع الشمس من مغربها آية عظيمة دالة على قرب قيام الساعة، يراها كل من يكون في ذلك الوقت، وتتكشف لهم الحقائق، وهنا يُغلق بابُ التوبة، فلا يقبل الإيمان ممن لم يكن آمن من قبل، كما لا تقبل توبة العاصي.

والأدلة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة منها:-

• الدليل الأول على طلوع الشمس من مغربها:

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

والآية فيها حذف المعطوف، أي لا ينفع نفساً إيمانها وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. ففيها لف ونشر، مفهومه: أنها إذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للسابق فقط، فيجري لها وعليها ما كان لها قبل ذلك، لأن باب التوبة قد أغلق.

وقال الطبري رحمه الله في تفسير الآية السابقة (٢٦٦/١٢):

أي لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله أن يؤمن بعد مجئ تلك الآية العظيمة الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة. اهـ

والمراد ببعض الآيات هنا: هو طلوع الشمس من مغربها، وهو قول جمهور المفسرين، كما نقل ذلك الطبري في "تفسيره" وكذا القرطبي.

وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة منها:-

ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمن من عليها،
فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعين،
فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً".

وأخرج الترمذي والنسائي بسند صحيح عن صفوان بن عسال رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"إن الله ﻻ يطلع بالمغرب باباً - عرضه مسيرة سبعين عاماً - للتوبة، لا يغلق حتى تطلع
الشمس من قبله، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨]

وأخرج ابن جرير الطبري رضي الله عنه (٧٥/٨) عن مسروق قال: قال عبد الله:
"يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها: قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر،
وكانها بعيان مقرونان".

• الدليل الثاني على طلوع الشمس من مغربها:

ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً:
طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض".

إشكال على هذا الحديث والرد عليه.

قد يقول قائل: إن عيسى عليه السلام يكون بعد الدَّجَّال، ومعلوم أن في زمن عيسى ينفع إيمان من آمن، فكيف ينفع الإيمان في زمن عيسى ولا ينفع في زمن الدَّجَّال مع كونه قبل عيسى؟

والجواب عن هذا الإشكال من وجهين:

الأول: أن مدة الدَّجَّال مرتبطة بنزول عيسى، فالمراد بقوله: "**الدَّجَّال**" أي بعد ظهور الدَّجَّال وعيسى عليه السلام، فبعد عيسى لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت من إيمانها خيراً.

الثاني: أن بخروج الدَّجَّال لا يستفيد أحدٌ ممَّن لم يكن آمن قبل خروجه، فالدَّجَّال لا يزيد الناس إلا فتنة، ويكون ذلك مقيداً بوقت خروج الدَّجَّال، وبعده من آمن بعيسى ينفعه إيمانه، والله أعلم.

• الدليل الثالث على طلوع الشمس من مغربها:

أخرج الإمام مسلم عن أبي نر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوماً:

"أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرُ ساجدةً^(١)، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع طالعةً من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي، أصبحت طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، أتدرون متى ذاكم؟ حين لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً".

وعند البخاري: "أتدري أين تذهب هذه الشمس إذا غربت؟ قلت: لا، قال: إنها تنتهي فتسجد تحت العرش، ثم تستأذن، فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً".

وعند الترمذي: "قال: دخلت المسجد حين غابت الشمس، والنبي ﷺ جالس، فقال: يا أبا نر، أين تذهب هذه الشمس؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب تستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: اطلعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، قال:

ثم قرأ - أي النبي ﷺ -: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]

(١) سجود كل شيء بما يخص، ويليق به، فيسجد لعظمة الله كل شيء، طوعاً أو كرهاً.

تنبيهات وفوائد:

١- **ذهب فريق من أهل العلم إلى:** أن الشمس إذا طلعت من المغرب، فهذا ليس دليل على أن باب التوبة قد أغلق، **واستدلوا بالحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو**

قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن أول الآيات خروجا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريباً".

فقالوا: إن طلوع الشمس والدابة أول الآيات - بنص الحديث - فيكون قبل خروج الدجال ونزول عيسى، ومعلوم أن عيسى **عليه السلام** سيضع الجزية ولا يقبل من أحد إلا الإيمان، فدلّ هذا على أن هناك مَنْ يؤمن في زمن عيسى، كذا قالوا. وهذا الكلام بعيد؛ لأن خروج الدجال ونزول عيسى **عليه السلام** يكون قبل طلوع الشمس من مغربها.

- وقد جمع بعض أهل العلم بين حديث عبد الله بن عمرو **عليه السلام** في كون أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات، وعندها لا تقبل التوبة، وبين خروج الدجال ونزول عيسى أنهما أول أمارات الساعة الكبرى.

فقد نقل الحافظ ابن حجر **رحمه الله في "الفتح" (٣٥٢/١١) عن الطيبي أنه قال:**

الآيات أمارات للساعة، إما على قربها وإما على حصولها،

فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف

ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، والنار التي تحشر الناس. اهـ

فعلى هذا يكون طلوع الشمس من مغربها أول الآيات باعتبار معين - يعني أول العلامات السماوية.

إلى هذا جنح الحافظ ابن حجر **رحمه الله في "فتح الباري" (٣٥٣/١١) فقال:**

فالذي يترجح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجال أو الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، والله أعلم. اهـ

٢ - **ونذهب فريق من أهل العلم إلى:** أن عدم الانتفاع بالإيمان يكون عند ظهور الآية فقط (أي طلوع الشمس من مغربها)، ولكن إذا طال الأمد بعد ظهور الآية وآمن الناس بعد ذلك؛ نفعهم هذا الإيمان، فيقبل إيمان الكافر، وتوبة العاصي.

فقد نقل الحافظ في "الفتح" (١١/٣٥٤) عن البيهقي في كتاب "البعث والنشور" أنه قال:
 "إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق (على خروج الدجال ونزول عيسى) احتمال أن يكون المراد نفي النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليفه الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال: لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال وينفعه بعد انقراضه".

ونقل الحافظ أيضاً قول القرطبي في كتابه "التذكرة" حيث قال:

".... فلو امتدت أيام الدنيا بعد ذلك (أي بعد الآية) إلى أن ينسى هذا الأمر، أو ينقطع تواتره ويصير الخبر عنه أحاداً، فمن أسلم حينئذ أو تاب قبل منه". اهـ

• وهذا كلام مرجوح، والراجح والذي دلت عليه النصوص: أن التوبة لا تقبل بعد طلوع الشمس من مغربها، وأن الكافر لا يقبل منه الإسلام، والعاصي لا تقبل منه التوبة، بل سئطوى الدواوين، ويختم على الأعمال، والأدلة على ذلك كثيرة منها:-

١ - **عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها".**
 (أخرجه مسلم).

٢ - **عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو ومالك بن يخامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الهجرة خصلتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طُبع على كل قلب بما فيه، وكفى الناس العمل".**
 (أخرجه أحمد والطبري والطبراني والبيهقي في "الشعب" وصححه أحمد شاكر، وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد وقوي).

٣ - **عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ عشية من العشيات، فقال: يا عباد الله توبوا إلى الله - مرات - فإنكم توشكون أن تروا الشمس من المغرب، فإذا فعلت ذلك، حُبست التوبة، وطُوي العمل، وخُتم الإيمان..." الحديث**

(أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم)

٤ - وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ".

٥ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

"إِذَا خَرَجْتَ أَوَّلَ الْآيَاتِ - تَعْنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ - طَرَحْتَ الْأَقْلَامَ، وَطَوَيْتَ الصُّحُفَ، وَخَلَصْتَ الْحَفْظَةَ، وَشَهِدْتَ الْأَجْسَادَ عَلَى الْأَعْمَالِ"
(أخرجه عبد بن حميد والطبري ونعيم بن حماد في الفتن).

٦ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:

"التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا". (أخرجه الطبري وقال سنده جيد، وجود سنده الحافظ).
وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أحاديث وأثاراً كثيرة تدل على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: "فهذه أثار يشد بعضها بعضاً، متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب، أغلق باب التوبة، ولم يُفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة"
(فتح الباري: ١١/٣٥٥)

وقال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (٣/٣٧١):

"إِذَا أَنْشَأَ الْكَافِرُ إِيْمَاناً يَوْمئِذٍ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُؤْمِناً قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ مُصْلِحاً فِي عَمَلِهِ، فَهُوَ بِخَيْرٍ عَظِيمٍ، وَإِنْ كَانَ مُخْلِطاً فَأُحْدِثَ تَوْبَةً، حِينَئِذٍ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ".

تنبيهان:

١. عدم قبول التوبة والدخول في الإسلام، محمول على مَنْ بلغته الدعوة، وكان عاقلاً بالغاً واختار الكفر، ثم ظهرت الآية، لأنه في حكم من انكشف له الغيب كالمحتضر.

٢. والناظر في النصوص يرى أنها لم تفرق بين مَنْ شاهد هذه الآية وبين من لم يشاهدها.

الأمر بالمبادرة بالأعمال

فعلى الإنسان المبادرة بالعمل الصالح، قبل ظهور هذه الآية... أو غيرها من الآيات، والتي لا ينفع معها توبة ولا ندم، وهذا ما حثنا عليه النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدُّجَال، والدَّآبَّة، أو خاصة أحدكم^(١)، أو أمر العامة^(٢)".

بيان وتوضيح

لا يُقبل إيمان كافر ولا توبة عاص: مَنْ لم يكن إيمانه متحققاً، لا ينفعه تجديد الإيمان إذا طلعت الشمس من مغربها، ولا ينفعه فعل بر البتة ؛ لأنه فقد الإيمان الذي هو الأساس.

وَمَنْ تحقق اتصافه بالإيمان من قبل، واستمر إلى طلوع الشمس من مغربها:

- فإما أن يكون مقيماً على المعاصي، ولم يكسب في إيمانه خيراً، فهذا ينفعه الإيمان السابق المجرد عن الأعمال في أصل النجاة، فلا يخلد في النار إن دخلها بذنوبه.

- وإما أن يكون مؤمناً تائباً عن المعاصي كاسباً في إيمانه خيراً ما استطاع، فهذا ينفعه إيمانه السابق في نجاته، وتتفعه أعماله السابقة الصالحة في درجاته، وينفعه ما يعمل به بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه مثلها.

- وإما أن يكون مؤمناً خالطاً، فهذا ينفعه إيمانه السابق في أصل نجاته، وينفعهما قدمه من الحسنات في درجاته، لكن لا تتفعه توبته من الأعمال السيئة، ولا تتفعه حسنة يعملها بعد ذلك، ما لم يكن عملها من قبل واستمر على عملها... من نحو صلاة وقراءة وذكر.

- فلا ينفع الإيمان المحدث في ذلك اليوم لمن كان كافراً، ولا التوبة المحدثه للمؤمن المقيم على المعاصي، ولا تقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك، ولا التوبة المحدثه لمن كان خالطاً، ولا أعمال البر المحدثه لمن لم يكن يعملها من قبل.

- والضابط في ذلك أن كل بر محدث بسبب رؤية آية الطلوع، ولم يسبق من صاحبه مثله، ولا ينفعه، سواء كان من الأصول أو الفروع، وكل بر سابق كان صاحبه يعمل به قبل رؤية الآية ينفعه.

(١) خاصة أحدكم: أي يخصه دون غيره، وأراد به الموت الذي يخصه.

(٢) أمر العامة: المقصود بها الساعة، لأنها تعم الناس جميعاً.

الحكمة في عدم قبول الإيمان والتوبة

هي: أن هذه الآية من أكبر أسرار الساعة وعلاماتها الدالة على دنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَهَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ

لَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]

وقد قال القرطبي في كتابه "التذكرة" (ص ٦٠٧): قال العلماء:

وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفرع ما تخدم كل شهوة من شهوات النفس، وتفتقر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدنو القيامة - في حال من حضره الموت، في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال، لم تقبل توبته، كما لا تقبل توبة من حضره الموت. اهـ

(وانظر كذلك تفسير القرطبي: ١٤٦/٧).

- أمر آخر وهو أن الإيمان يقوم في كثير من جوانبه على الإيمان بالغيب، فإذا طلعت الشمس من مغربها صار الإيمان مشاهداً بالإبصار ظاهراً للعيان، وليس بالغيب، فيكون كإيمان فرعون لما أدركه الغرق. والله أعلم.

مدة بقاء الشمس على تلك الحالة (أي طلوعها من المغرب)

وطلوع الشمس العكسي إنما يكون مرة واحدة في يوم واحد، ثم تعود الشمس كما كانت، فتطلع من المشرق إلى أن تقوم الساعة.

١ - عن عبد الله بن أوفى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كان ذلك عرفها المتنفلون، يقوم أحدهم فيقرأ حزيه ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ حزيه ثم ينام، فبينما هم كذلك، صاح الناس بعضهم في بعض، فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، حتى إذا صارت في وسط السماء، رجعت وطلعت من مطلعها، قال: فحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها".

(أخرجه ابن مردويه في تفسيره).

٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه، وفيه:

"وفيزع المتهاجدون، وينادي الرجل تلك الليلة جاره: يا فلان ما شأننا الليلة؟ لقد نمت حتى شبعت، وصليت حتى أعيتت؟ ثم يقال لها: اطلعي من حيث غربت، فذلك يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً".

(أخرجه البيهقي في البعث والنشور).

٣ - وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ:

"ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين، فينتبه الذين كانوا يُصلُّون فيها، يعملون كما كانوا يعملون قبلها، والنجوم لا ترى، قد باتت مكانها، يرقدون ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون، ثم يرقدون ثم يقومون، يتناول الليل، فيفزع الناس ولا يصبحون، فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها، إذ طلعت من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم".

(أخرجه ابن مردويه)

٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه نحوه، وفيه:

"قدر ليلتين - أو ثلاث -، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيُصلُّون، ويعملون كما كانوا، ولا يرون إلا قد قامت النجوم مكانها، ثم يرقدون ثم يقومون، ثم يقضون صلاتهم والليل كأنه لم ينقض، فيضجعون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه، حتى يتناول عليهم الليل، فإذا رأوا ذلك، خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فيفزع الناس، وهاج بعضهم في بعض، فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينظرون طلوعها من المشرق، إذ هي طالعة عليهم من مغربها، فيصيح الناس ضجة واحدة، حتى إذا صارت في وسط السماء، رجعت وطلعت من مطلعها" (أخرجه البيهقي)

(المسيح المنتظر ونهاية العالم: ص ٢٨٤)

العلامة التاسعة: خروج الدابة

وخروج الدابة علامة من علامات الساعة الكبرى، كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال:

"اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر: فقال ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر منها الدخان، والدجال، والدابة..."

قال ابن كثير رحمه الله في "مختصر تفسيره" (٤١٩/٢):

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق؛ فتكلم الناس وتخطبهم مخاطبة. اهـ

أولاً: الأدلة على خروجها من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]

أي: إذا وجب الوعيد على الناس بسبب فسادهم وتماديهم في العصيان والطغيان، وتبديلهم الدين الحق؛ أخرجنا لهم دابة من جوف الأرض، تكلمهم وتناظرهم على خلاف العادة، ليعلموا أن الساعة أزفت، وأن العذاب أصبح وشيكاً.

(مختصر تفسير ابن كثير: ٤١٩/٢)

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً."

وعند أحمد: "ثم قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب -: وأظن أولاهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها..."

وقال ابن كثير في "النهاية في الفتن" (١٠٩/١ - ١١١):

وطلوع الشمس من مغربها متقدم على الدابة، وذلك محتمل ومناسب، والله أعلم. اهـ

وكلام ابن كثير رحمه الله محتمل ومناسب كما قال؛ لأنه مع طلوع الشمس من مغربها تغلق أبواب التوبة، وهنا يأتي خروج الدابة تكميلاً للمقصود حيث تسم (تعلم) الناس، فيعرف الكافر من المؤمن.

تنبيه:

ومعنى أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، يعني أول الآيات السماوية التي تكون على خلاف عاداتها المألوفة، كما أن الدابة أول الآيات الأرضية على خلاف مجيء العادات.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً:

طلوع الشمس من مغربها، والدَّجَال، ودابة الأرض". (أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن جرير)

وهنا لا ننسى أن نذكر بوصية النبي ﷺ بالمبادرة بالأعمال الصالحة قبل خروج هذه

العلامات، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدُّخَان، أو الدَّجَال، أو الدابة...."

(أخرجه مسلم وأحمد والحاكم وغيرهم).

مكان خروج الدابة

اختلفت الأقوال في مكان خروجها اختلافاً واضحاً:-

ف قيل: إنها تخرج من مكة المكرمة من أعظم المساجد (يعني الحرم المكي)، وهذا قول أكثر أهل العلم

وقيل: أنها تخرج من جبل الصفا بمكة

وقيل: تخرج من البادية (أي الصحراء)

وقيل: لها ثلاث خرجات: فمرة تخرج من بعض البوادي ثم تختفي، ثم تخرج في بعض القرى، ثم تظهر

في المسجد الحرام.

وكل هذا ورد فيه أحاديث، ولكنها لا تخلو من ضعف، فنرد العلم إلى الله تعالى، وهذا أسلم من القول

بغير علم، فنقول الله أعلم بمكان خروجها، ولكنها ستخرج.

حقيقة الدابة وصفاتها

وقيل: هي ناقة صالح عليه السلام

وقيل: هي فصيل (ولد) ناقة صالح عليه السلام

وقيل: هي الجساسة المذكورة في حديث الدجال، ونُسبَ هذا القول لعمر بن العاص رضي الله عنه

وقيل: إنها إنسان يناظر أهل البدع والكفر

وأغرب البعض وقال: إنها الجراثيم الخطيرة

وكل هذه أقاويل باطلة ليس عليها أي دليل صحيح

والصحيح أن يقال: هي دابة ستخرج في آخر الزمان، تُكَلِّمُ الناس وتخطبهم، أو تسمهم (أي تعلمهم) والله أعلم بصفاتها

وقفة:

ليس عجباً أن تكلم الدابة الناس، فقد أخبر النبي ﷺ كما عند الترمذي فقال:

"ولا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذ بهما فعله أهله بعده".

عمل الدابة عند خروجها

إذا خرجت الدابة فإنها تسم المؤمن والكافر (أي تعلمهم) فأما المؤمن، فإنها تجلو وجهه حتى يشرق، ويكون ذلك دليل على علامة إيمانه، وأما الكافر، فإنها تخطمه على أنفه، علامة على كفره والعياذ بالله.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والبخاري في "التاريخ" عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

قال: "تخرج الدابة فتسمُ الناس على خراطيمهم"^(١)، ثم يُعْمَرُونَ - وفي رواية: "يُغْمَرُونَ"

فيكم"^(٢)، حتى يشتري الرجلُ الدابة - وفي رواية: البعير - فيقال: ممَّن اشتريت؟ فيقول:

من الرجل المخطم^(٣) - وفي رواية: من أحد المخطمين"

(صح إسناده أحمد شاكر، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع: ٢٩٢٧، الصحيحة: ٣٢٢، وضعفه بعض أهل العلم، والراجح: ضعفه)

(١) خراطيمهم: جمع خرطوم وهو الأنف.

(٢) يغمرون فيكم: أي يختلطون بالناس.

(٣) المخطم: الذي به الخطام، وهو خط يكو من الأنف إلى أحد الخدين.

ووسم الناس يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]

ومعنى ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: أي تجرحهم، ويؤيد قراءة ابن عباس ؓ وفيها: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بفتح التاء وسكون الكاف، و"الكَلَم" وهو الجَرَح، أي تسمهم وسمّاً، ويشهد لهذا القول حديث أبي أمامة السابق أن النبي ﷺ قال: "تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم"

وقيل: إن المراد بقوله تعالى ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: أي تكلمهم كلاماً، وتخطبهم مخاطبة ويؤيد ذلك قراءة

أبي بن كعب: "تنبهم"

وروي عن ابن عباس أنه قال: كُلاً تفعل، أي المخاطبة والوسم

قال ابن كثير ؓ في "تفسيره" (٢٢٠/٦):

وهو قول حسن، ولا منافاة، والله أعلم.

تنبيه:

بالنسبة للرأي الثاني: أن الدابة تكلم الناس وتقول لهم: ﴿... أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]،

وهذا قول عطاء الخراساني، ورجَّح هذا القول ابن جرير واختاره، وحكاه عن علي ؓ

لكن قال ابن كثير ؓ في "النهاية" (١٠٦/١):

وهذا الكلام فيه نظر. اهـ

فلا ينكر الحافظ ابن كثير ؓ عنها صفة الكلام، ولكن ينفي كونها تتكلم وتقول هذا القول:

﴿... أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]

أحاديث ضعيفة وردت في شأن الدابة

- أخرج نعيم بن حماد في "الفتن" وسعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "هي دابة ذات زغب وريش: لها أربع قوائم، تخرج في بعض أودية تهامة".

"ضعيف"

- وقد ذكر الماوردي والثعلبي في صفتها أعاجيب:

"مثل أن رأسها رأس ثور، وأذنها أذن فيل..." الخ. وهذا كله لم يدل عليه دليل.

- وأخرج ابن جرير الطبري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختتم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل البيت ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر".
[إسناده ضعيف].

أحاديث ضعيفة وردت في مكان خروج الدابة

- (١) أخرج أبو داود والطيالسي عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال:

"ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: "لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني: مكة - ثم تكمن زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيعلو ذكرها أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية - يعني: مكة -"، قال رسول الله ﷺ: "ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب، فافرض الناس عنها شتى ومعاً، وبقيت عصابة من المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه. فتقول: يا فلان. يا فلان، الآن تُصَلِّي؟! فيقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم ينطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يُعرف الكافر حتى أن المؤمن يقول: يا كافر؛ اقضني حقي، وحتى أن الكافر يقول: يا مؤمن، اقضني حقي".
(إسناده ضعيف جداً)

٢) وأخرج ابن جرير الطبري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ:
"وذكر الدابة. فقال حذيفة: قلت: يا رسول الله، من أين تخرج؟ قال: "من أعظم المساجد
حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم
تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو
رأسها ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب، تسم الناس، مؤمن
وكافر، أما المؤمن فترك وجهه كأنها كوكب دري وتكتب بين عينيه: مؤمن، وأما الكافر
فتكتب بين عينيه نكتة سوداء: كافر". (ضعيف)

٣) أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"بئس شعب جباد^(١) مرتين أو ثلاثاً"، قالوا: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: تخرج منه الدابة
تصرخ ثلاث صرخات، فيسمعها من بين الخافقين".

٤) وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"تخرج الدابة من أعظم المساجد، فبينما الناس هم كذلك، إذ رنت الأرض، فبينما هم كذلك
إذ تصدعت". (ضعيف)

وأخرج ابن ماجه من حديث بريدة رضي الله عنه قال:
"ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل،
فقال رسول الله ﷺ: تخرج الدابة من هذا الموضع، فإذا فتر في شبر".
(إسناده ضعيف جداً)

(١) شعب جباد: هو موضع بمكة يلي الصفا، كما جاء في "معجم البلدان" (١/١٣٨).

العلامة العاشرة: خروج نار تسوق الناس إلى محشرهم

قبل النفخة الأولى تخرج من اليمن نار عظيمة هائلة، تنتشر في الأرض، تسوق الناس أمامها من كل جانب، حتى تضطربهم إلى أرض المحشر بالشام.

وخروج هذه النار هي آخر العلامات الكبرى التي أخبر عنها النبي ﷺ، وهي أول الآيات المؤذنة بانقلاب الكون وقيام الساعة، من حيث إنه لا يبقى شيء بعدها من أمور الدنيا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، وقيام الساعة.

ففي "صحيح مسلم" عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال:

"اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدُّخَان، والدَّجَال، والدَّابَّة، وظلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم".

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشرار الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: خبرني بهن آفا جبريل، قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشرار الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بهتٌ إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام، قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ: أفرايتم إن أسلم عبد الله؟! قالوا: أعاده الله من ذلك؛ فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا؛ ووقعوا فيه".

تنبيهات وإيضاح:

التنبيه الأول: ورد في حديث أنس هذا: "أن أول أشرار الساعة: نار تحشر الناس من

المشرق إلى المغرب"، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه:

"أن أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى".

فكيف الجمع بين الحديثين؟

وجه الجمع - والله أعلم - : تنزيل كل حديث على أحوال خاصة، بمعنى: أن أول التغييرات في العالم العلوي: طلوع الشمس من المغرب، وأول آيات العالم السفلي: نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، أو باعتبار آخر، كما نقله الحافظ في "الفتح (١١/٣٥٣)" حيث قال: "قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر: أن طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميّز المؤمن من الكافر؛ تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة: النار التي تحشر الناس. والله أعلم". اهـ

وعلى هذا يكون المقصود بحديث أنس: هو أشرار قيام الساعة، وليس أشرار قرب الساعة، ويؤيد هذا الرأي الحديث الذي رواه البخاري وفيه: "ما أول أمر الساعة"

التنبيه الثاني: ورد في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري:

"أن هذه النار هي آخر أشرار الساعة"، وورد في حديث أنس: "أنها أول أشرار الساعة"،

فكيف الجمع بين الحديثين؟

قال الحافظ ابن حجر كما في "فتح الباري" (٣/١٢٠):

إن أخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، وأولييتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا. اهـ

وقال القاضي: لعله لم يرد أول الأشرار مطلقاً، بل الأشرار المتصلة بالساعة، الدالة على أنها تقوم

(فيض القدير: ٨٦/٣)

عما قريب.

التنبية الثالث: النار الخارجة من اليمن هي الحاشدة للناس كما صرح بذلك الحديث، ولكن أضاف القاضي عياض نارا أخرى تحشر الناس إلى محشرهم، وهي المعنية بحديث الرسول ﷺ حيث قال: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضي أعناق الإبل ببصرى" فقال القاضي: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس، ثم قال: أو يكون ابتداء خروجها من اليمن، ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز. اهـ

فهذا هو كلام القاضي وهو كلام بعيد؛ لأن النار التي تخرج من أرض الحجاز ليس لها تعلق بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة الصغرى الذي ظهرت سنة أربع وخمسين وستمئة.

التنبية الرابع: أن هذه النار التي تخرج من عدن تحشر الناس إلى أرض الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، كما أخبر بذلك النبي ﷺ: "الشام أرض المحشر والمنشر".

(أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ميمونة بنت سعد وأخرجه أبو الحسن الرقي في فضائل الشام) فالشام هي الأرض التي يساق الناس إليها قبل نفخة الصعق، وهي الأرض التي يحشر الناس إليها بعد نفخة البعث.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إنكم تحشرون رجالاً وركباناً، وتجرون على وجوهكم ها هنا - وأوماً بيده إلى الشام -"

حال الناس عندما تسوقهم النار إلى أرض المحشر

علمنا فيما سبق أن هذه النار تخرج من اليمن، وتحشر الناس إلى أرض المحشر بالشام، فإذا مشى الناس وتعبوا ونزلوا للقيولة والنوم، تقيل معهم، فإذا استيقظوا من القيلولة انطلقت من خلفهم تسوقهم، وكذلك إذا باتوا ليلاً باتت معهم، فإذا أصبحوا وارتحلوا ارتحلت معهم، حتى تنتهي بهم إلى الشام - كما مر بنا.

والذين تسوقهم النار إلى أرض المحشر ينقسمون إلى ثلاثة أفواج:

الأول: فوج يحشرون طاعمين، كاسين، راكبين.

الثاني: فوج يمشون تارة، ويركبون تارة أخرى، يعتقبون على البعير الواحد لقلة الظهر.

والفوج الثالث: تحشرهم النار؛ فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته النار.

(النهاية في الفتن والملاحم: ١/٢٣٠) (التذكرة للقرطبي: ص ٧٩٦)

وهذه الأصناف الثلاثة جاء ذكرها في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"يحشر الناس على ثلاث طرائق^(١): راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار؛ ثقيل^(٢) معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتسمي معهم حيث أمسوا"

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح من حديث أبي نر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم - وتحشرهم إلى النار - فقال قائل منهم: هذان قد عرفناهما، فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال ﷺ: يلقي الله الآفة على الظهر^(٣) حتى لا يبقى ظهر، حتى أن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطئها بالشارف^(٤)، ذات القتب^(٥) فلا يقدر عليها".

وأخرج الطبراني في "الكبير والأوسط" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، يكون لها ما سقط منهم وت خلف، وتسوقهم سوق الجمل الكبير".

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنكم تحشرون رجالاً وركباناً، وتجرون على وجوهكم ها هنا - وأوماً بيده نحو الشام -" (صحيح الجامع: ٢٣٠٢)

(١) طرائق: جمع طريق، وهي الحالة.

(٢) ثقيل من القائلة أو القيلولة، وهي النوم وسط النهار لكسر الحر.

(٣) الظهر: معناه هنا: كل ما يركب من الدواب: من إبل وخيل... وغيرها

(٤) الشارف: الناقة المسنة الضعيفة

(٥) القتب: رجل صغير على قدر السنام كالسرج للخيول، والمراد بالشارف ذات القتب: هي الناقة العاملة.

المكان الذي تخرج منه النار

- جاءت بعض الروايات تبين أن خروج هذه النار يكون من اليمن - كما مر بنا - في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه وفيه: "... وآخر ذلك تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم". وفي رواية أخرى عند مسلم: "نار تخرج من قُعرَة ^(١) عدن ترحل الناس". وقد بين النبي ﷺ هذه النار تخرج تحديداً من بحر حضر موت. فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ستخرج نار من حضر موت، أو من بحر حضر موت قبل يوم القيامة؛ تحشر الناس".
 - لكن جاءت الروايات تبين أن هذه النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب كما جاء عند البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "...أما أشرط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب" وفي رواية: "أول ما يحشر الناس: نار تجيء من قبل المشرق، فتحشر الناس إلى المغرب". وأخرج الطيالسي بسند صحيح في "المسند" عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أول شيء يحشر الناس: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب". وفي رواية أخرى عن الحاكم بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: "تبعث نار تسوق الناس من مشارق الأرض إلى مغاربها، كما يساق الجمل الكسير لها، ما تتخلف منهم، إذا قالوا؛ قالت، وإذا باتوا؛ باتت".
- (حديث حسن موقوف على عبد الله بن عمرو وله حكم الرفع)

(١) قُعرَة عدن: أي من أقصى قعر عدن، وعدن مدينة معروفة باليمن، وهي واقعة على بحر حضر موت، ويسمى اليوم بالبحر العربي، قال الماوردي: سميت عدناً من العدوان وهي الإقامة، لأن تُبعاً كان يحبس فيها أصحاب الجرائم.

وقد ورد بالفعل مرفوعاً في حديث أخرجه الطبراني في "الكبير والأوسط" عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قَالُوا، يكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل الكبير".

وقد جمع بعض أهل العلم بين الروايات التي تختلف فيها مكان خروج هذه النار فقال الحافظ رحمته الله في "الفتح" (١١/٣٧٨):

"وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع: أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك: أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها.

والمراد بقوله: "تحشر الناس من المشرق إلى المغرب": إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو: أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق، ويؤيد ذلك: أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب: فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب".

قال: "ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتنة المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداءها من قبل المشرق حتى خرب معظمه، وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر، وهما من جهة المغرب، كما شوهد ذلك مراراً من المغول في عهد جنكيزخان، ومن بعده، والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها. والله أعلم"

الشام ملاذ المؤمنين عند الفتن

١. أخرج الإمام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام".

٢. وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
"عقر دار الإسلام بالشام".
(حسنه السيوطي، وقال الهيثمي: رجاله ثقات)

- وعند خروج هذه النار سأل الصحابة الأخيار الحبيب المختار ﷺ عن المفر وكيفية النجاة؟ فقال: "عليكم بالشام".

٣. ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ستخرج نار بحضرموت - أو من بحر حضرموت - قبل يوم القيامة، تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام".
(صحيح الجامع: ٣٦٠٩)

٤. أخرج الإمام أحمد والترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال:
"قلت: يا رسول الله، أين تأمرني؟ خزلني. فقال: ها هنا بيده، (ونحا نحو الشام)، وقال: إنكم محشورون رجالاً وركباناً، وتجرون على وجوهكم" وفي رواية لأحمد: "مشاة وركباناً، أو على وجوهكم".
قال ابن أبي بكير: "فأشار بيده إلى الشام، فقال: إلى ها هنا تحشرون"

٥. وأخرج أبو داود عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجنّدة، جند بالشام، وجند بالعراق"، فقلت: خزلني يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم؛ فعليكم بيمينكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام".

- وفي رواية عند الطبراني في "الكبير" عن واثلة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:
"عليكم بالشام، فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلق بيمينه، وليسق من غدّره، فإن الله ﷻ تكفل لي بالشام وأهله"
(صحيح الجامع: ٤٠٧٠)

- وفي الختام نختم بهذا السؤال: هل هذا الحشر يكون في الدنيا أم في الآخرة؟

- ذهب بعض العلماء كالغزالي والحلي والترمذي، والبيهقي إلى:

أن هذا الحشر يكون في الآخرة وليس في الدنيا.

- بينما ذهب فريق آخر من العلماء إلى: أن هذا الحشر في آخر عمر الدنيا وليس في الآخرة،

والى هذا ذهب الخطابي، والطبري، والقاضي عياض، والقرطبي، وابن كثير، وابن حجر

وهذا هو الرأي الأرجح، والتي تدل عليه النصوص؛ لأن النبي ﷺ ذكر في الحديث:

"إن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: طاعمين، كاسين، راكبين"

وفي حديث آخر عند البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال عن هذه النار:

"تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي

معهم حيث أمسوا".

قال ابن كثير رحمه الله في "النهاية" (١/٤٥١):

"فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطارها إلى محلة الحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونوا على أصناف ثلاثة: فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون البعير الواحد من قلة الظهر، وتحشر بقيتهم النار التي تخرج من قعر عدن، فتحيط بهم من ورائهم من كل جانب، ومن تخلف منهم أكلته... وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيا، حيث الأكل والشرب والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار، ولو كان بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري، ولا أكل ولا شرب، ولا لبس في العرصات. اهـ

كما صح في الخبر عن النبي ﷺ: أن الناس سيحشرون يوم القيامة عراة غُرلاً.

والحديث عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

"قام فينا النبي ﷺ فقال: إنكم محشرون حفاة عراة غُرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ...﴾"

[الأنبياء: ١٠٤]، وإن أول الخلق يُكسى يوم القيامة: إبراهيم الخليل."

وقد ذهب الحافظ ابن حجر رحمته الله إلى: أن هذا الحشر يكون في الدنيا واستدل بالحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج... ثم ذكر في الحديث.. يلقي الله الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر، حتى أن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطيهها بالشارف، ذات القتب فلا يقدر عليها"**.

فقال الحافظ: وقد تبين من حديث أبي ذر ما دل على أنه (الحشر) في الدنيا، لا بعد البعث من الحشر إلى الموقف، إذ لا حديقة هناك، ولا آفة تلقى على الظهر حتى يعز ويقل. اهـ
وقد نقل الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٧/١١) قول القرطبي حيث قال:
"هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر في القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها، وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس في الباب: **"حُفَاة عُرَاة مُشَاة"**. اهـ

والحشر: الجمع، وهو أربعة: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، فالذي في الدنيا أحدهما: المذكور في سورة الحشر، في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]

والثاني: الحشر المذكور في أشرط الساعة، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات.. - وذكر منها - نار تخرج من اليمن تطردهم إلى محشرهم"**.

والحشر الثالث: حشر الأموات من قبورهم، وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف؛ كما قال تعالى: **﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾** [الكهف: ٤٧]

والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار. اهـ ملخصاً

وقال الإمام النووي رحمته الله كما في "شرح مسلم" (١٧/١٩٥) قال العلماء:

"وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة، وقبل النفخ في الصور؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: **"تحشر بقيتهم النار، تبیت معهم وتقیل وتصبح وتمسي"**.

ويؤيد هذا الرأي أيضاً: الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس"
والشاهد قول النبي ﷺ: "قبل يوم القيامة" فعلم بهذا أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة.

تنبيه:

ذهب الحافظ أبو بكر البيهقي رحمته الله إلى:

أن هذا الحشر من الآخرة، وحمل هذا الركوب على أنه يوم القيامة، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(١) ﴿٨٥﴾ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٥﴾ [مريم: ٨٥]

وقد رد على هذا الزعم الحافظ ابن كثير رحمته الله في كتابه "النهاية في الفتن والملاحم" (٢٥٩/١) فقال: "وكيف يصح ما ادعاه في تفسير الآية بالحديث، وفيه: "إن منهم اثنين على بعير، وعشرة على بعير" وقد جاء التصريح فيه بقلة الظهر؟ هذا لا يلتئم مع هذا، والله أعلم. تلك نجائب من الجنة؛ يركبها المؤمنون من العرصات إلى الجنة، على غير هذه الصفة". اهـ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي
وإن وجدت العيب فسد الخلا
جلّ من لا عيب فيه وعلا
فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

(١) وفداً: يعني: ركبناً.